ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Critical Method of Ibn Zara El Fassi and His Criteria for Choosing the Historical Materials in his Sunni Ammunition in the History of the Marinid State

Assist. Prof: Qabas Farooq Salih

University of Tikrit Colloge of education – Humanity

Qussay Hussien Mohammed

General Directorate of Education Of Kirkuk

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

***Keywords*:**
Critical
Method
Ibn Zara
Article
Cunni Ammunition
Mirinid State

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 4 Jan. 2022
Accepted 17 Feb 2022
Available online 29 Nov 2022
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2022 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

Muslim history writes managed the writing and saving historical period of Islamic Arabic civilization in all its aspects and characteristics. They wrote it in a really good, truthful and neutrality way. Ibn abi zara was one of those authors who were interested and working on history writing.

He was specialized in Islamic Western Arabic history and the history of Maritain state. He was able to save and write lots of past news and events depending on a good and a recognizable method in his book (Sunni ammunition in the history of the Marinid state) depending on diverse references that are oral or written and his observation of many events. His way of observation, reading and hearing made him writing in a good, accurate and important way.

This made him beat other authors. He was concerned with the writing of the history of Marinid state, not only one aspect of life but all. His book was comprehensive for political, origins, economic, neighboring to Marini state.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.11.2.2022.13

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

منهج ابن ابي زرع الفاسي (ت741هـ) النقدي واسس اختياره للمادة التاريخية في كتابه (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية)

أ.م.د قبس فاروق صالح/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قصي حسين محمد/ المديرية العامة للتربية في محافظة كركوك

الخلاصة:

منهج ابن ابي زرع الفاسي (ت741هـ) النقدي واسس اختياره للمادة التاريخية في كتابه (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية):

لقد تمكن المؤرخون المسلمون من تدوين وحفظ المسيرة التاريخية للحضارة العربية الإسلامية بكل مفرداتها وجزيئاتها الدقيقة، وبأمانه وصدق وحيادية الى حد كبير ، وكان المؤلف ابن ابي زرع الفاسي (ت741هـ/1340م) واحدا من أولئك الذين صبوا جل اهتمامهم وجهودهم على كتابة تاريخ المغرب العربي الإسلامي بشكل عام ، وتاريخ الدولة المرينية بشكل خاص، وقد استطاع ان يحفظ لنا العديد من الاخبار والاحداث وتفصيلاتها على وفق منهج متميز وواضح ، معتمدا في معلوماته التي ذكرها في كتابه (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) على مصادر متنوعة مابين ما هو سماعي ، وما ورد في الكتب التي اعتمد عليها سواء كانت ادبيه او تاريخية، وكذلك مشاهدته للكثير من الحوادث وهو ما جعل اخباره التي دونها غاية في الدقة والاهمية، كما أعطاه هذا الامر السبق على غيره من المؤلفين ، اذ اهتم بكتابة تاريخ بني مرين ، ولم يكيف بجانب معين من جوانب الحياة في تلك الفترة وانما جاء كتابه شاملا لقضايا السياسة والانساب والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ، وكذلك العلاقات مع الدول والممالك المجاورة للدولة المرينية.

الكلمات المفتاحية: نقدي، منهج، ابن ابي زرع، مادة، الذخيرة السنية، الدولة المرينية

المقدمة

إن هذه الدراسة لجاء في كتاب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية جاءت نظرا لأهمية هذا الكتاب وما احتواه من معلومات قيمة ودقيقة عن تاريخ الدولة المرينية ، اذ ذكر المؤلف في في الكتاب من احداث واخبار حول نسب وتاريخ هذه الاسرة وانه كان شاهد عيان لاحداث عديدة في المغرب خلال حكم الدولة المرينية ، وقد اختص البحث بمنهج احد المؤرخين المسلمين وهو (ابن ابي زرع الفاسي) ، حيث جاءت هذه الدراسة ضمن الدراسات التاريخية التي تهتم بالكشف عن جهود المؤرخين المسلمين الذي اقاموا هذا العلم على مر العصور والذي مازال يحوي اسرار ونواح مازالت غامضة وبحاجة الى كشف وتوضيح.

كما وتبين منهجهم في التاليف والنقد واساليبهم في اختيار وعرض المادة التاريخية، والكيفية التي تناولوا بها الاحداث التي شهدها تاريخ الامة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب.

ومن هذا المنطلق جاءت الرغبة في دراسة موضوعات من هذا النوع ، وكذلك ما اكتنف حياة المؤلف ونشأته من غموض بالرغم من انه احد المؤرخين البارزين في تاريخ المغرب في نهاية القرن السابع الهجري واوائل الثامن الهجري / الثالث عشر والرابع عشر للميلاد.

فكان لاخباره الدقيقة التي دونها وكان معاصرا للعديد منها واهميته كتابة ومنهجه النقدي ومنهجه في الحوادث دافع أساسي للشروع في كتابه هذا البحث.

ونظرا لأهمية الكتاب الذي يعد واحدا من ابرز الكتب التي تناولت تايخ الدولة المرينية في المغرب الأقصى منذ بدايات ظهورهم وحتى وفاة المؤلف، وعلى الرغم من معلومات الكتاب المهمة ، الا ان ابن ابي زرع وكتابة لم يلقيا العناية والاهتمام بالمستوى الذي يستحقه، او يوزاي الجهد الذي بذله فيه.

وقد تناولت هذه الدراسة في مبحثها الأول منهج ابن ابي زرع النقدي وما شمل ذلك من نقد المؤلف للروايات التاريخية وابداء رايه حولها وكذلك تعليله للأسباب وإصدار الاحكام في بعض المسائل والاحداث بما يتفق مع المنطق والحقائق التاريخية ، كما قام بترجيح بعض الروايات على حساب روايات أخرى.

اما المبحث الثاني فقد ضم منهج المؤلف في الحوادث وتحديدا أسس اختياره للمادة التاريخية التي يعرض لها والتي كان حريصا على موافقتها لايات القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، وان تكون منطقية ودقيقة ، كما استخدم الشواهد الشعرية ، والرسائل ، وانصافه بالحيادية الى حدما ، مما جعل كتابه مفيد جدا في دراسة الدولة المرينية وملوكها الأوائل.

المنهج النقدي:

أ – نقد الروايات:

حظيت المؤلفات التاريخية التي امتازت بجمعها ما بين الحوادث والتراجم بعناية الباحثين ، وذلك لما فيها من الأهمية البالغة في احتوائها على مادة تاريخية غزيرة ، علمية كانت ام أدبية .

ويلقى هذا النوع من الدراسات الذي يختص بدراسة كتاب ما ، دراسة علمية مفصلة ، والبحث فيه وفي منهجه ومورده ومضامينه ، اهتماما لا بأس به من قبل الباحثين في الوقت الحاضر أساتذة وطلاباً . حرصاً منهم في تسليط الضوء على جهود المؤرخين الرواد ، وإبراز مكانتهم واثر تآليفهم في حقل الدراسات التاريخية[1].

وعلى الرغم من تجاهل ابن ابي زرع لبعض قواعد واسس المنهج التاريخي، واعتماده على منهج التاريخ الحولي في سرد حوادثه التاريخية، والتي عرضها بعدة اساليب تنوعت مابين (علمي – تاريخي – روائي – ادبي)، والذي تميز به، اذ ان ((اهم ما يميز المؤرخ هو المنهج الذي يتبعه في كتابة الاعمال التاريخية التي يعمل على تطويرها شخصياً))[2] ، ورغم التزامه الصمت حيال بعض الروايات والاحداث الغريبة البعيدة نوعاً ما عن الواقع، والتي لا تتفق مع الحقائق التاريخية بما فيها من شبهات، وبما تحمله من معاني وافكار قد تخدم غرضاً آخر غير الغرض المرجو منها، الا انه وفي بعض الاحيان– وان كانت قليلة – كان ينتقد الروايات التي يجد فيها الشك الى نفسه سبيلاً، من خلال ابداء رأية مستعيناً على ذلك بقدرته العلمية، وادراكه العقلي.

ومن الامثلة على ذلك انتقاده لدولة الموحدين وذكره ان بداية نهايتهم كانت في وقعة العقاب وما تلاها من استبداد الوزراء والاشياخ بالسلطة التي يمثلها الامير المستنصر الذي كان هلوعاً جزوعاً حيث فوض ملكه الى اقاربه الذين تحاسدوا وادركهم الاعجاب حيث قال: ((وقطعوا الارحام، وجاروا في الاحكام، ..... فبدا في ملكهم الفساد، ووهن في دينهم، ..... فولت ايامهم واختلفت كلمتهم، وجعل الله بأسهم بينهم، وبعث لفنائهم وذهاب ملكهم بني مرين))[3] ، كما انتقد مذهب ابو العباس السبتي: احمد بن جعفر الخزرجي شيخ المريدين بقوله: ((الآخذ بمذهب غريب في الدين ..... وكان مذهبه رحمه الله ان لايترك لنفسه ناضا من المال الا قدر ما يقوته وعياله في يومه وباقيه يتصدق به، وكان يرى ان اهل الجمال من النساء الفقيرات تجب الصدقة عليهن مخافة فسادهن، وان القبيحات لا يتصدق عليهن بشيء حتى يستغني الملاح))[4].

وقد انتقد خروج اشياخ فاس وخلعهم لطاعة الامير ابي بكر بقوله: ((الذين سعوا في الفتنة وشقوا عصا المسلمين وكانوا اسى الخلاف ورؤساء الضلال)) [5]، وفيما يخص خروج يعقوب بن عبدالله بن عبدالحق على عمه امير المسلمين يعقوب وضبطه مدينة سلا لنفسه مضاهياً بها لعمه، فقد انتقده المؤلف بقوله: ((وحدث نفسه بامور غير ناجحة))[6] ، اما عن خبر ابو دبوس ونقضه للعهد الذي كان بينه وبين امير المسلمين، فقد قال: ((وكتب له بذلك كتاباً يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء الى عمالهم والرؤساء الى خدامهم))[7] ، والحال نفسه عندما انتقد تصرف ابن الاحمر عندما وصله رأس قائد جيش النصارى دون نونيو دي لارا حيث بعثه امير المسلمين له ليرى فعل الله في اعدائه، بقوله: ((فلما وصل الرأس الى ابن الاحمر صبره وجعله في المسك والكافور وبعث به الى الفنش لعنه الله يستخدمه بذلك ويستألفه ويتحبب اليه))[8].

ومن خلال عرضنا لمادة الكتاب، يتبين لنا منهج المؤلف القائم على ابراز الحقيقة ومحاولته قدر المستطاع الابتعاد عن الاخبار والروايات الغريبة التي ينكرها العقل، ويرفضها الواقع، من خلال ماتبثه في النفس من شكوك بصحتها ودقتها، وقد عمد ابن ابي زرع الى الاشارة الى تلك الاخبار والروايات والتي يراوده الشك في دقتها، فيسبقها او يتبعها بلفظة نقدية، نحو قوله: ((يحكى))[9] ، و ((ادعى انه))[10] ، و ((من عجيب الاتفاق))[11].

ب – التعليل واصدار الاحكام:

((التحليل اهم عملية فكرية يلجأ اليها المؤرخ في مسالة البحث ..... واصلها تجزئة الحادثة او ما شابهها الى العناصر التي تتكون منها، لاجل اكتشاف الخصائص التي تتميز بها))[12].

ووفقاً لهذا الاساس فان المؤلف لم يوفر جهداً في تطبيق هذه العملية، وذلك من خلال الادلاء برأيه في بعض المسائل، اضافة الى تعليقاته واشاراته لبعض الحوادث والروايات التاريخية، وفق ما تقتضيه الضرورة، مورداً ذلك ضمن السياق العام للنص، مما يظهر قدرته على التفاعل مع الاحداث.

حيث علل السبب في تغيير لغة قبائل زناته عن لغة اجدادهم العربية الى اللغة البربرية برحيل بر بن قيس مع امه وزوجته التي حسده اخوته عليها، وهموا بقتله، فخافت عليه امه وقررت الخروج الى بلاد اخوتها البربر، حيث قال: ((فنزل بر بين اخواله من البربر في احسن جوار))[13] ، وعلل انتهاء رياسة زناته الى ماخوخ الزناتي بقوله: ((لانه كان في زمانه احد الشجعان الاجواد الابطال))[14] ، واوضح ان سبب دخول بنو وطاس في قبائل مرين هو خروج جدهم وطاس بن المعز بن تاشفين بعد انقضاء ايامهم وهزيمتهم امام الموحدين ولجوءه الى احياء مرين بقوله: ((فاستجار بهم فاجاروه))[15] ، وذكر ان وقعة العقاب كانت سبب زوال دولة الموحدين التي ((آذنت دولتهم بالذهاب))[16] ، وعن سبب دخول بني مرين للمغرب قال: ((فوقعت بينهم وبين بني عبدالوادي وبني اسين حرب بسبب امرأة فافترقوا من تلك السنة وقصدت مرين نحو المغرب))[17] ، وعلل تسمية باب الشريعة من مدينة فاس بباب المحروق لاجل ((حرق العبيدي في وسطه يوم تمامه))[18].

كما بين سبب تسمية الامير عبدالله بن امير المؤمنين يعقوب بالعجب لانه ((كان افرس من ركب السروج في زمانه، ولجماله وكرمه وشجاعته))[19] ، اما عن سبب جواز المجاهدين من بني مرين الى الاندلس قال: ((والسبب من جوازهم ان النصارى قد تكالبوا على بلاد المسلمين بالغارات والسبي فابادوا اكثرها واهلكوا قواعدها فتفجع اهل العدوة لحالهم))[20] ، وكذلك علل سبب ارسال العزفي صاحب سبتة اجفانه لهدم مدينة اصيلة وتخريبها ((لانها كانت قد خلت من الناس، فخاف عليها بسبب خلائها ان يملكها العدو فيؤذي المسلمين))[21] ، واوضح رجوع امير المسلمين يعقوب عن حصار ابو دبوس في مراكش الى مدينة فاس حيث ((شن يغمراسن الغارات في اطراف المغرب وبلاد ملوية، فاتصل الخبر بامير المسلمين، ..... كر راجعاً الى حرب يغمراسن وراى ان مبادرته وتقديم حربه من اوجب الواجب اذ هو فارس زمانه البطل الشجاع المحارب))[22].

ومن جانب اخر نجده منفرداً في اصدار الاحكام من خلال ابداء وجهة نظره ببعض الروايات والاحداث الي يوردها، قاصداً العمل على تفسير مضمونها، على نحو يدل على ثقافته الواسعة واستيعابه لمجريات الحوادث التاريخية.

ومثال ذلك ما ذكره في معرض حديثه عن نسب بني مرين وقبائلها بقوله: ((واما بنو علي فليس هم من بني مرين، وانما هم شرفاء حسينيون))[23] ، وكذلك قوله في بني وطاس: ((وليس هم ايضا من بني مرين، وانما هم من صنهاجة))[24] ، وعلق على دور الامير عبدالحق المريني، قائلاً: ((وهو الذي ادخل بني مرين الى المغرب لما اراد الله تعالى من ظهور ملكهم فيه واستيلائهم عليه))[25].

وعلق على حادثة احراق العبيدي بعد ان اوردها قائلاً: ((وكان العبيدي رجلاً صالحاً متخشعاً كثير الورع والعبادة))[26] ، وعلق على دور الفقيه الحافظ ابو ذر وعلمه بقوله: ((ولم يكن في وقته اتم وقاراً ولا احسن سمتاً وعقلاً منه))[27] ، وكذلك الحال مع الامام الحافظ، عالم المشرق، الفخر ابن الخطيب الرازي حيث قال: ((ولا خلاف في فضله))[28].

جـ – ترجيح الروايات:

يتضح لنا من خلال مطالعة ابواب الكتاب، ان اعتماد المؤلف على مجموعة من المصادر، والتي ذكر بعضها وترك البعض الاخر، ادى الى ان يجد امامه مجموعة من الاراء والروايات المختلفة حول مسألة معينة او حادثة تاريخية محددة، يحوم حولها الشك، ويكتنفها الغموض، فكان لابد من معالجتها، في محاولة منه لتقرير امكانية تصديقها او تكذيبها.

وعلى الرغم من اعتماد المؤلف على السرد التاريخي في كثير من الاحيان دون ابداء رأي او تحليل، الامر الذي حدا ببعض الباحثين المحدثين الى انتقاده نعته بانه يفتقد الى روح النقد العلمي، الا ان ذلك لايلغي ملامح النقد عنده، اذ توجد اشارات محددة تظهر في ثنايا كتابه، لكنها لم تكن ذات قيمة نقدية، اذ لم تمس شخصية الراوي او نقد مصدره[29].

ان نقد النصوص التاريخية يحتاج الى قدرة على الاستقراء والمقارنة والاطلاع، التي تعزز ملكته النقدية، فقد حاول المؤلف تنقية الجيد منها عن السيء ان وجد، وعزل الغث منها عن السمين، من خلال ترجيح ما يراه صحيحاً، واستبعاد الضعيف منها، اذ انه: ((.....، لكل شيء وقع في الماضي سبباً او اسباباً يتطلب التحقق منها بذهنية مؤرخ حاذقة .....))[30].

ويتبين ذلك من خلال ما تضمنه كتابه من العبارات الدالة على الترجيح مثل: ((ربما))[31] ، ((قيل))[32] ، ((يقال))[33] ، في تعقيبه على عدد من الروايات ولآراء، ما يدل على تشكيكه ها، وتردده وعدم قناعته في قبولها، واحيانا يعمد الى تاكيد الصحيح منها بكلمات دالة على قبوله بها، ومثال على ذلك: عندما تحدث عن نسب بني مرين وقبيلة زناته، فانه اردف قائلاً: ((وهو اصح ما ذكر في نسبهم والله اعلم))[34] ، وكذلك عندما ذكر احداث السنة التاسعة والاربعون وستمئة قال: ((وفيها بنا العزفي بسبتة سوراً بجانب المنارة، وقيل بل كان ذلك في سنة ثمان واربعين وهو اصح))[35].

ورغم ماذكرناه، الا اننا نجده في بعض الاحيان حيادياً موضوعياً تجاه بعض الروايات والآراء التي يوردها حول حادثة معينة، من دون ان يدلي برأية او يصرح بوجهة نظره الشخصية، مما ادى الى حدوث قصور في السياق العام للمنهج، وبالتالي تأثيره على وحدة النص وارتباطه، من خلال سكوته على بعض الروايات والحوادث الغريبة التي لايقبلها المنطق، ولا تمت للواقع بصلة، وذلك لانها ذات طابع اسطوري غير واقعي[36].

منهجه في الحوادث:

1 – اسس اختيار المادة التاريخية:

لكل مؤرخ منهجية محددة واضحة المعالم والخطوط قبل شروعه في أي بحث ((حيث يكون له رؤية معينة، واسلوب خاص، وذهنية محددة تميزه عن غيره من المؤرخين السابقين او المعاصرين له))[37] ، وهذا ما يتضح من خلاله اسس اختياره للمادة التاريخية وطريقة تعامله مع النصوص والحقائق التي يعرض لها، والتي تشكل بمجملها مادة البحث.

لذلك فقد اختط ابن ابي زرع لنفسه منهجاً محدداً عرض من خلاله المادة التاريخية التي اوردها في كتابه ضمن سياق معين، حرص فيه كل الحرص على الاصول والقواعد الخاصة بالمنهج التاريخي، موظفا فيه قدرته الادبية واللغوية، ورغبته بالتأليف ، ومعلوماته الوفيرة، ومشاهداته للأحداث ، واطلاعه الواسع على مناهج من سبقه في هذا المجال، ومن خلال بعض الاصول والحقائق التي اولاها عنايته والتي شغلت حيزاً مهما من كتابه، اوردها ضمن ايضاحات واشارات دقيقة، برزت واضحة المعالم في اماكن مختلفة من الكتاب، يمكننا التعرف على ملامح منهجه في انتقاء المادة التاريخية واختيارها، وتقويم الافكار الواردة فيها، وتلخيص ودراسة المضامين التي اعتمدها في سرده لتلك المادة، ومن ابرزها واكثرها وضوحاً: الاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة، والسلف الصالح، في محاولة منه للتذكير بذلك والسير على نهج الاولين، خاصة وانه يتحدث عن الدولة المرينية وامراءها الذين اتصفوا بالتقوى والالتزام الديني والاخلاقي.

حيث اورد ذلك بشكل يقوم على المنطق والواقع التاريخي الذي يحاكيه ضمن منهج خاص به، قد لا نجده عند غيره من المؤرخين، فعلى سبيل المثال فانه يورد خبر فتح القائد حسان بن النعمان افريقيا والمغرب فأتى الى جبال اوراس من بلاد المغرب، فوجد قبائل زناته تريد قتاله فدعاهم الى الاسلام معللا ذلك بقوله انتم اخواننا في النسب وجدنا واحد[38]، واستشهد بالقرآن الكريم واحاديث الرسول (صل الله عليه وسلم)، حيث استخدم المؤلف هذا الخبر عن تلك الحادثة لذكر نسب بني مرين، ذو الاصل العربي، وحسم الجدل الحاصل في هذا الامر.

فكما هو معلوم لدى الباحثين والقراء ان ظهور الدولة وتكوينها كوحدة سياسية وإدارية واجتماعية مرتبط بحصولها على السكن والحياة ، بغض النظر عن الزمان والمكان لذلك الظهور والمنشأ[39].

ان منهج ابن ابي زرع الذي سار عليه في كتابه الذخيرة قائم على التعريف بالموضوع والشخصية، او الحدث الذي يروم دراسته، وتوضيحه بطريقة مفصلة ودقيقة قائمة على الدلائل والاستشهاد بما يعزز ذلك من شواهد وخاصة الشواهد الشعرية التي اعتمدها في كافة ابواب الكتاب، منها على سبيل المثال ما ذكره في مدح بني مرين وذكر صفاتهم[40]، ونسبهم وحسبهم[41]، مع ذكر اسم القائل في اغلب الاحيان.

ومن الاستشهادات الاخرى التي اهتم ابن ابي زرع بعرضها مركزاً عليها، اقوال اهل المعرفة بالانساب وذكر آرائهم في نسب مرين ومنهم الفقيه الكاتب ابو علي الملياني رحمه الله[42]، وكذلك قول ابراهيم الرازي وغيرهم[43]،كما انه جمع هذه الاراء وقدمها لنا مع وصوله الى الرأي الاصح وايرادها في كتاب واحد.

فايراده لكل هذه النصوص والاقوال والحوادث، والتركيز عليها ضمن سياق الكلام عن المسائل التي اثارت اهتمامه، والتي اوردها مقرونه باخبار الماضين، لايعني انه انفرد بذكرها دون غيره ممن سبقه، بل انه استقاها من عدة كتب ومصادر اشار اليها وذكرها، الا ان ما يميز كل ما ذكره ويسوغه هو انه جمع كل ما يخص نسب بني مرين وما قيل فيه من آراء من مصادر مختلفة، واوردها في كتاب واحد، وهذا ما يبرز لنا اهمية الحدث الذي اقتبسه ابن ابي زرع، وحرص على ادراجه ضمن الاحداث والوقائع التي وظفها في سفره هذا ((فقلة من المؤرخين من ينجح في عرض اراء واخبار الماضيين ويعمد الى ربطها بالافكار الواردة له بما يوافق صنعته وصنعة كتابه على اتم وجه))[44].

فاستطاع بذلك ان يحفظ لنا بعض الوثائق والنصوص المهمة، فمثلاً اتي يتفصل رسالة الفقيه ابو القاسم العزني الى فقهاء المغرب وصلحائه بشرح غزاة امير المسلمين يعقوب وما حققه من نصر على امير النصرانية دون نونيو دي لارا وذلك في سنة 674هـ، وما غنمه المسلمين في هذه الغزاة من غنائم[45].

ويورد ايضا نص كتاب ابي عبدالله ابن الأحمر[46]، سنة 673هـ الى امير المسلمين يعقوب يخبره بحال المسلمين في الاندلس وما هم فيه من الخوف والقتل والاسر، وحوى الكتاب على معلومات مهمة ودقيقة في وصف تطاول النصارى على المسلمين عن طريق قتل الرجال وسبي الذراري والنساء، وغنم الاموال، وابدال الجوامع بالكنائس[47]، كما اورد نصوص تتعلق بالتحالفات السياسية مما زاد في دقة الاخبار التي دونها منها قول يغمراسن بن زيان لأبي دبوس: اياك ان تطمع بني مرين فيما لديك فانا اكفيك شرهم، وانا وانت يد واحدة في حربهم[48]، وكذلك قول امير المسلمين لأبي دبوس عندما استجار به من المرتضى: ما هذه الزيارة؟ قال لست بزائر، ولكني دخيل مستجير بك، اني فررت من القتل وقصدت حماك لتنصرني وتعينني على عدوي وعدوك....[49] ، وكذلك الحال مع نص من وصية امير المؤمنين الموحدي يوسف المستنصر الى قائد جيشه ابو علي بن وانودين يحرضه على قتال بني مرين قائلاً له: اقتل الوالد والولد، ولا تبق منهم احد[50]، والحال نفسه مع قول الامير عبدالحق المريني لقومه عندما استشاروه في حرب رياح ومن سار معهم من بني عسكر[51].

وكذلك الحال مع قول امير المسلمين يعقوب عندما وضع رأس ابو دبوس بين يديه بعد ان حمد الله وشكره، وسجد ثم رفع رأسه قائلاً: ((هكذا يفعل الله بكل غادر ناكث، ومفسد كاذب حالف حانث))[52].

ان ايراد ابن ابي زرع لبعض هذه الوثائق واطالته في ذكر بعضها، واجتزاءه لبعضها الاخر، انما جاء بها ضمن سياق الموضوع الذي يعرض له هو اهمية الحدث بالنسبة لابن ابي زرع، وحرصه الشديد على ايضاح ذلك حتى وان اخذت طريقاً ومنحى غير المقصود من كتابه هذا.

وبطبيعة الحال فان روزنشال[53]، يعقب على اهمية هذا النوع من الوثائق، قائلاً: ((نقل بعض المؤرخين باخلاص بعض الوثائق المهمة عن السياسة الداخلية .....))، وبالتاكيد فان روزنشال لا يصدر حكمه هذا اعتباطاً اذ ان معظم هذه الوثائق ومثيلاتها قد حوت معلومات مهمة عن الفترات التي

ولدت فيها، فاصبحت مصدراً رئيساً من المصادر التاريخية التي يعتمد عليها المؤرخين في كل زمان وأوان.

والكلام نفسه ينطبق على الاشعار والقصائد التي اهتم بتدوينها لتكون شاهداً على الاحداث التي نظمت من اجلها[54].

والملاحظ على منهج ابن ابي زرع كثرة الاخبار وتنوعها، ففي الوقت الذي لم يجعل كتابه مقتصراً على الحقبة التي عاصرها فحسب، بل تطرق الى بدايات نشوء دولة بني مرين ونهاية دولة الموحدين على ايديهم، الا اننا نلحظه مركزاً على بعض الاخبار ومتوسعاً فيها دون غيرها، مثل اخبار نسب بني مرين وقبائلهم[55]، وكذلك اخباره عن دولة امير المسلمين يعقوب وغزواته والتي شغلت حيزاً كبيراً من الكتاب وبتفاصيل دقيقة[56]، خاصة جوازه الى بلاد الاندلس، ونصرته للمسلمين هناك، وعلى الرغم من ان كتاب الذخيرة السنية ليس كتاب تراجم الا ان مؤلفه قدم لنا تراجم العديد من الفقهاء والادباء والعلماء، وما تظمنته من معلومات واخبار تدل على مدى التقدم المعرفي والثقافي الذي كان سمة من سمات ذلك العصر، وغالباً ما كان يختم هذه الترجمة بشواهد شعرية[57].

واهتم المؤلف بإيراد النوادر والطرائف التي غالبا ما نجدها في مؤلفات من هذا النوع، وقد حرص على ايرادها مفصلة كاملة، في محاولة منه على ما يبدو – ليكون دقيقاً في تحري الحقائق والمعلومات التي وردت في كتب من سبقوه، خاصة وان تلك المعلومات قد وردت وعنصر المبالغة طاغياً عليها[58]، اضافة الى استخدامه للوصف والتشبيه كطريقة من اجل اظهار الحوادث والشواهد التاريخية بصورة اكثر وضوحاً، كما اننا لاننسى ان ((الوصف الجيد يساهم في عملية التحليل للاحداث، لان الوصف يشكل احد عناصر التحليل الاساسية والضرورية للبحث))[59].

ومن ابرز الامور التي حرص المؤلف على اعتمادها في منهجه الحولي القائم على التتابع الزمني المتسلسل منذ سنة 600هـ وما قبلها بقليل وحتى آخر سنة ذكرت في هذا الكتاب موضوع البحث وهي سنة 679هـ، وهو ايراده وفيات الكثير من الامراء والرؤساء والملوك والفقهاء والعلماء وغيرهم، والذي بقي مرافقاً لمنهجه حتى نهاية الكتاب وبدقة عالية في ذكر تواريخ تلك الوفيات تصل الى حد ذكر اليوم أحيانا[60].

وفي الكتاب الكثير من الاخبار والمواقف القصيرة التي دونها المؤلف، والتي تدل على سعة اطلاعه وحرصه على شمول كتابه لكافة الاخبار والمجالات دون التطرق الى تفاصيلها[61].

وقد ظهر تأثير العامل الديني جلياً على نهج المؤلف من خلال مجموعة من الامور دلت على ذلك الاتجاه ابرزها ما تحدث به عن الرؤى التي رآها بعض الامراء في منامهم والتي تحققت لهم، وكذلك الدعاء الذي كان يختتم به الكثير من الموضوعات التي تطرق اليها، واستشهاده بالقرآن الكريم في مواطن عدة، واسلوب السجع لديه[62]، وحوى الكتاب على ظواهر كونية نقلها لنا المؤلف بشكل موجز[63]، وان

الهدف الرئيس منها قد يكون الموعظة والاتعاظ ورجوع الناس الى الطريق الصحيح كما ذكره المؤلف عند حديثه عن خروج النار من اليمن[64].

ورغم ان ابن ابي زرع كان دقيقاً في ايراد كل ما ذكرناه سابقاً ضمن اطار المنهج التاريخي اسسا وقواعد وحريصا على توخي الحذر في نقولاته ورغبته في ابراز الحقيقة فيما يتعلق ببعض المسائل والروايات التي يلتبس فيها الشكل مع المغالطة، الا ان من النقاط التي تسجل عليه – في محاولة منا لتقويم منهجه – ان منهجه في تدوين اخبار الدولة المرينية وسير امرائها والتي كان يعيش في كنفها جعله يركز على ذكر محاسنها ويبالغ في مدحها بينما نراه يتغاضى عن بعض المخالفات التي حدثت في عصرهم بالاضافة الى وجود صراع اسري على الحكم في دولة بني مرين نوه اليه المؤلف ولكن دون ذكر تفاصيل او اسباب او تعليق[65]، وبذلك نراه احياناً يخرج على صفه ((الحياد وعدم الانحياز التي يجب توفرها في كل مؤرخ))[66] ، بالاضافة الى ذلك ذكره لاخبار في معرض حديثه ثم يعود ليعارضها بأخبار وروايات أخرى، مما اثر على وحدة النص وارتباط السياق العام للمضمون، كما سكت عن بعض المخالفات والاحداث دون تعليق او توضيح قبل حصول بعض المعارك والغزوات التي قام بها امراء بني مرين ضد خصومهم خلال الاشهر الحرم والنهب والسلب وحرق المحاصيل اثناء الحصار[67].

ومن النقاط الاخرى التي تسجل عليه وعلى منهجه في الكتابة هو انه بالرغم من حرصه على ذكر المصادر والاشخاص الذين اعتمد عليهم في نقولاته للمعلومات والاخبار، الا ان ذلك لم يرد ضمن منهج واحد، بل تعدد الى صيغ مختلفة اثرت في تحديدنا لبعضها، وعدم معرفتنا لبعضها الاخر، حيث نجده يكتفي احياناً بقوله: ((قال لي من شاهد الحال))[68] ، او ((اخبرني من شاهد هذا الحصار))[69] ، او قوله ((قال الراوي))[70] ، او ((قول بعض ادباء زناته))[71] ، او ذكر الحديث دون ذكر مصدره[72]، كذلك الحال مع الابيات الشعرية التي ذكرها واستشهد بها دون ذكر اسم قائلها[73].

وعلى اية حال فان كل ما ذكرناه لا يقلل من قيمة ابن ابي زرع وعلميته، وقدرته الادبية، والمعلومات والاخبار القيمة التي ارخها، وطاقاته التاليفية، كما لا يقلل من اهمية وقيمة كتابه (الذخيرة السنية)، والذي يعتبر اهمك تاب تاريخي ومفيد جداً في دراسة تاريخ الدولة المرينية وملوكها الاولين عبدالحق وابناءه الاربعة اب سعيد وابي معرف وابي يحيى وابي يوسف، ويبين اهم الاحداث التي جرت سواء بالمغرب او بالاندلس، اذ انه كان معاصراً لدولة بني مرين ويحيا تحت ظلها.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة الى عدة نتائج ابرزها:

1- بالرغم من تجاهل ابن ابي زرع للبعض من قواعد واسس المنهج التاريخي الا انه تمكن من استخدام أسلوب مميز عرض من خلاله المادة التاريخية وبمنهجه الخاص.

2- التزام ابن ابي زرع الصمت وعدم ابداء رأيه تجاه بعض الاحداث والروايات الغريبة والبعيدة نوعا ما عن الواقع ، الا انه في بعض الأحيان قام بنقد الروايات اليت يشكك في صحتها ويبدي رايه مستخدما قدراته العلمية وادراكه العقلي.

3- كان المؤلف دقيقا في منهجه القائم على ابراز الحقيقة قدر المستطاع والابتعاد عن الروايات الغريبة التي لايتقبلها العقل وكان يسبقها بكلمات تدل على النقد والتشكيك.

4- قام المؤلف بتحليل بعض النصوص والاخبار وابداء رايه بالإضافة الى تعليقاته واشاراته على بعض الحوادث التاريخية ، وبحسب الضرورة ، حيث اعطى أسبابا مناسبة لاحداث عديدة.

5- استخدام ابن ابي زرع ثقافته الواسعة في اصدار احكام تجاه بعض الروايات والاحداث التي ذكرها.

6- رغم اعتماد منهجه على السرد التاريخي الا ان ذلك لايلغي ملامح النقد عند ابن ابي زرع وتبين ذلك من خلال استخدام عبارات الترجيح مثل (ربما) و (قيل) و (قال) في تعقيبه على الروايات المشكوك في صحتها، بينما فعل العكس مع الروايات التي يقبلها.

7- قدرة المؤلف الأدبية واللغوية ومعلوماته الوفيرة، ومشاهداته للاحداث.

8- الاستشهاد بالايات القرانية والاحاديث النبوية الشريفة والسلف الصالح في محاولة للتذكير والسير على نهج الاولين خاصة وان نشأة المؤلف دينية وكذلك انصاف امراء بنو مرين بالتقوى والالتزام الديني.

9- استقطاع حفظ العديد من النصوص والوثائق من الضياع ، كما شغل الشعر حيزا كبيرا من كتابه.

10- اهتم بايراد النوادر والطرائف ، كما اعتمد على المنهج الحولي واعداده وفيات الكثير من الامراء والفقهاء وغيرهم.

الهوامش:

1- صالح : قبس فاروق ، عبدالله : خالد محمود ، موارد أبو العباس المقري في كتابه (ازهار الرياض في اخبار عياض) ، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد (20) ، ع 11(1434هـ/2013م) ، ص733.

2- النقيب : د. مرتضى حسن ، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي، منشورات جامعة بغداد (العراق، 1419هـ/1999م) ، ص9.

3- ابن ابي زرع: أبو الحسن علي بن عبدالله (ت 741هـ/1340م) ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة والنشر ، ط2، (الرباط ،1392هـ/م1972)، ص24.

4- ابن ابي زرع ، الذخيرة ، ص40.

5- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص 78.

6- ابن ابي زرع ، الذخيرة ، ص93.

7- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص11.

8- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص 151.

9- ابن ابي زرع ، الذخيرة ، ص29.

10- ابن ابي زرع ، الذخيرة ، ص38.

11- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص146.

12- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص26.

13- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص16.

14- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص19-20.

15- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص22.

16- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص24.

17- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص25-26.

18- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص38.

19- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص98.

20- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص98.

21- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص101.

22- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص115.

23- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص21.

24- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص22.

25- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص24.

26- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص38.

27- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص42.

28- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص45.

29- الجبوري: سالم محمود عيسى، موارد ابن ابي زرع في الانيس المطرب ومنهجه في التاريخ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة (جامعة الموصل ، كلية التربية، 1421هـ/2000م)،ص112.

30- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص33.

31- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص38.

32- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص 45،58،66،68،112،135،140.

33- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص52.

34- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص14.

35- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص80.

36- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص58،150،161.

37- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي، ص22.

38- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص17.

39- مطلوب : قبس فاروق صالح ، مكانة اهل الذمة في المجتمع الاندلسي من القرن (1-5هـ) (المستعربين انموذجاً) ، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد (28) ، ع 5 (1422هـ/2021م) ، ص205.

40- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص13.

41- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص14،16،17 .

42- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص14.

43- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص15.

44- النقيب، المؤرخ المبتدأ ومنهج البحث التاريخي ، ص25.

45- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص152.

46- الزركلي: خير الدين ، الاعلام ، دار العلم للملايين، ط3 (بيروت، 1399هـ/1979م)، 321/1.

47- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص140-141.

48- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص112.

49- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص109.

50- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص27.

51- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص33.

52- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص117.

53- روزنشال : فرانتز ، علم التاريخ عند المسلمين ، تعريب: د.صالح احمد العلي، مكتبة المثنى (العراق، 1383هـ/1963م)، ص168.

54- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص: 112،119،133،145،157،163.

55- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص14-19 21،29،

56- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص 87،111،115،122،129،139،143،148،158 ،86 ،85

57- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص47-38 ،50.

58- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص58،139،146،147،150

59- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص34،117،124،131،150.

60- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص34،51،61،63،114،135.

61- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص 60.

62- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص140،115،59،24،13.

63- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص98،96،79،71،67،44.

64- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص81.

65- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص 80 ،125،97،93،89،84.

66- طه: عبدالواحد ذنون، أصول البحث التاريخي، مطابع دار الحكمة (الموصل، 1410هـ/1990م)، ص20.

67- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص132،131،117،116،66،58.

68- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص116.

69- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص56.

70- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص17.

71- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص16.

72- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص17،51.

73- ابن ابي زرع ، الذخيرة، ص107،91،86،64،30،25،23،13.

74- كنون: عبدالله ، ذكريات مشاهير رجال المغرب، مكتبة المدرسة، دار الكتب اللبناني (بيروت، 1381هـ/1961م)، ص33.

Sources and References:

1. Ibn Abi Zara: Abo Al-Hassan Ali Ibn Abdullah(died 741 H /1340 A.d) , sunni ammunition in history of marinid state, Al-mansura for printing and publish, 2nd edition (Al.Rabat, 1392H /1972 A.d).
2. Rozinshal: Franiz, the science of history to Muslims ,Arabical : Ph.d Salih Ahmed Al.Ali, Al-Muthan library, (Iraq, 1383 H/1963 A.d).
3. Al-Zarkali: khairy Aldeen, media, daar Al-Elim for millions, 3rd edition, (bairut,1399 H/1979 A.d).
4. Taha: Abdulwahid: d Thanon, sources origins of historical search, Dear Al-Hikma printers (mosul, 1410H/1990A.d).
5. Kanoon: Abdullah, Memorise of morroco famous men, school library, Daar Al-kutub, lebaniese (bairut, 1381H/1961 A.d).
6. Al-nageeb: Ph.d Murtadha Hassan , The Junior Historian and the method of historical search, Baghdad university , publications (Iraq, 1419H/1999 A.d).

Thesis:

7. Al-Jubory: salim Mahmood Issa, resources Ibn Abi Zara in Al-Aness Al-Mutrib and his method in history, Ph.D thesis, not published (mosul university , collage of education (1421H/2000A.d).
8. Saleh : Qabas Farooq , abdulla:Khaled Mahmood , resourse abo al abass al mekhary in his book (Azhar Al-Reyaad) , research published the journal of Tikrit university for human sciences , volume (11) , no (20) , novmber (2013 A.D).
9. Matloob : Qabas farouk saleh , the status of dhimmid in andulusian society from the first century A.H(The arabists in Andolusia the published the journal of Tikrit university for human sciences , volume (5) , No (28) , may (2021 A.d).